الأذى، واستجلاب النفع، والهزل، واللعب. والله تعالى منزه عن ذلك، فلا يصح إضافة الاستهزاء الذي هذه دواعيه إلى الله تعالى»[1].

لكنه قد أضيف إليه سبحانه بنسبة الفعل نحويا إلى هذا الفاعل أو ضميره المستتر، ومن هنا، بالجمع بين فكرة الألوهية في الإسلام، وما يتناسب معها من أفعال، وفكرة أنه لا يمكن أن يصف القرآن الله سبحانه «بما لا يصح»، من هنا بدأ البحث عن دلالة أخرى للاستهزاء، غير دلالة ذلك الاستهزاء الذي يقع من العبد بدوافع «الخوف والنفع والهزل واللعب».

ويتكرر الإشكال الدلالي نفسه في الآية الثانية، بلفظ ليست دلالته بعيدة عن دلالة «الاستهزاء»، منسوبًا كذلك في المرة الأولى إلى ضمير المنافقين أيضًا (وهم أنفسهم فاعل الاستهزاء الأول في آية البقرة). يقول الله تعالى: ﴿**فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون. ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأنَّ الله علاَّم الغيوب. الذين يلمزون المطَّوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذابٌ أليم**﴾[2].

فأسندت السخرية إلى الله، وغُيِّر زمن الصيغة الصرفية عما كان في الآية الأولى من المضارع إلى الماضي: (الله يستهزئ ـ سخر الله)، أنشأ خلافًا دلاليا آخر حول سياق الفعل، أهو للدعاء أم للإخبار. وبخلاف هذا، نجد بحثًا آخر حول مدلول سخرية الله، «قيل: صيغته خبر، ومعناه الدعاء. ولما قال: فيسخرون منهم، قال، سخر الله منهم على سبيل المقابلة، ومعناه أمهلهم حتى ظنوا أنه أهملهم... وقيل: معنى سخر الله منهم، جازاهم على سخريتهم، وجزاء الشيء قد يسمى باسم الشيء كقوله: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾. وقال ابن عطية: تسمية للعقوبة باسم الذنب، وهي عبارة عمَّا حلَّ بهم من المقت والذل في نفوسهم. انتهى.

وهو قريب من القول الذي قبله، وقال الأصمّ: أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقبل معاذيرهم الكاذبة في الظاهر، ووبال فعلهم عليهم كما هو، فكأنه سخر منهم»[3].

---

(١) البحر المحيط، ج١، ص١١٤، ١١٥.

(٢) التوبة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٣) البحر المحيط، ج٥، ص٤٦٩، ٤٧٠.